أ. د. شهْناز سُمية بن الموفق.

-جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة – الجزائر.

-كلية أصول الدين.

-قسم العقيدة ومقارنة الأديان.

عنوان الملتقى: **اتجاهات المدرسة الصوفية بالجزائر من البناءات المعرفية الى الامتدادات العالمية**

المحور الخامس: الكتابات الاستشراقية حول طبيعة الحضور الصوفي بالجزائر (الاستشراق الفرنسي وطروحاته الكولونيالية

عنوان المداخلة: التّمثّلات الاستشراقية للطرق الصّوفية في الجزائر: قراءة في المرجعيات والسياقات الكولونيالية

الملخّص:

تسعى هذه الدراسة إلى تحليل صورة التصوف الجزائري في الكتابات الاستشراقية الفرنسية من خلال فحص المرجعيات المعرفية التي استند إليها المستشرقون الفرنسيون، وربطها بالسياقات الكولونيالية التي تشكّلت فيها هذه الكتابات .تتمثل إشكالية البحث في السؤال الآتي: إلى أي مدى عكست الكتابات الاستشراقية الفرنسية حول التصوف الجزائري معرفة علمية موضوعية، وفيما تمثّل دور هذه الكتابات كجزء من مشروع كولونيالي استهدف فهم البنيات الدينية والاجتماعية من أجل التحكم فيها وإعادة توجيهها؟ثم ماهي وسائل و أبعاد تكريس السرديات الاستشراقية الفرنسية حول الوجود الصوفي في الجزائر الصور النمطية والمفاهيم الخاطئة، وكيف تؤثر على الخطابات الأكاديمية المعاصرة حول الإرث الاستعماري؟ ويتفرع عن ذلك سؤالان: كيف صوّر المستشرقون الفرنسيون الزوايا والطرق الصوفية ورموزها في الجزائر؟ وما أثر المرجعيات الاستشراقية والسياق الاستعماري في تشكيل هذه الصورة؟تكمن أهمية البحث في إبراز أن دراسة التصوف لا تقتصر على الجانب الديني والروحي، بل تتصل أيضًا بتاريخ المجتمع الجزائري وآليات تمثيله في الخطاب الاستعماري، فضلًا عن مساهمته في تفكيك الصور النمطية التي علقت بالزوايا والطرق الصوفية في عدد من الكتابات الغربية. كما يُنتظر أن يبرز البحث تنوّع مواقف المستشرقين الفرنسيين بين من نظر إلى التصوف باعتباره عنصراً للضبط الاجتماعي، ومن رآه فضاءً مؤثرًا في المقاومة أو في تشكيل الوعي الجماعي.

الكلمات المفتاحية: التصوف الجزائري، الاستشراق الفرنسي، الزوايا والطرق الصوفية ، السياق الكولونيالي، الصور النمطية، الإرث الاستعماري

Oriental Representations of Sufi Orders in Algeria: A Reading of Backgrounds and Colonial Contexts

Abstract: This study analyzes the representation of Algerian Sufism in French Orientalist writings by examining the epistemological frameworks and colonial contexts that shaped these narratives. It investigates the tension between objective scientific inquiry and the functional role of Orientalism as a colonial project designed to understand and control indigenous religious and social structures. By exploring how these writings perpetuated enduring stereotypes and misconceptions, the research assesses their lasting impact on contemporary academic discourse regarding colonial legacies. The study deconstructs the portrayal of *Zaouias* and Sufi orders, highlighting the diverse perspectives of French Orientalists who perceived Sufism either as a mechanism for social regulation or as a vital force for collective consciousness and anti-colonial resistance.

***Keywords*:** Algerian Sufism, French Orientalism, Zaouias and Sufi Orders, Colonial Context, Stereotypes, Colonial Legacy.

مقدمة وسياق البحث

لمحة تاريخية عن ظهور الطرق الصوفية في الجزائر (زياد، 2018)

يمثل ظهور الطرق الصوفية في الجزائر ظاهرة تاريخية معقدة متشابكة بعمق مع النسيج الاجتماعي والسياسي والديني لمنطقة المغرب العربي. ولا يمكن فصل هذا التطور عن التيارات الإسلامية الأوسع التي شكلت شمال إفريقيا منذ العصور الوسطى فصاعداً. يقدم زياد (Ziyād, 2018) فحصاً شاملاً لتطور هذه الطرق، مسلطاً الضوء على كيفية امتداد جذورها إلى قرون التكوين الروحي الإسلامي في المنطقة. لم يكن إنشاء الطرق الصوفية في الجزائر عفوياً أو معزولاً؛ بل كان توطيداً تدريجياً عززه التفاعل بين المشاعر الدينية المحلية والمذاهب الصوفية الوافدة.

في البداية، دخل التصوف إلى الجزائر عبر نشر التعاليم الروحية المضمنة في ممارسات العلماء والمتصوفة الجوالين الذين عبروا طرق التجارة عبر الصحراء والبحر الأبيض المتوسط. لعبت هذه الشخصيات دوراً محورياً في نشر ليس فقط الفقه الإسلامي، بل أيضاً الطرق الباطنية التي تهدف إلى تحقيق التزكية النفسية والمعرفة التجريبية المباشرة بالإله. وفر التنوع الجغرافي والثقافي في الجزائر بيئات مواتية لهذه الأفكار الصوفية لتتجذر وتزدهر، خاصة في المجتمعات الريفية والقبلية حيث كانت السلطة المركزية غالباً ضعيفة أو غائبة. وقد منح هذا المنشأ "المركزي–المحيطي" للتصوف قدرة فريدة على التكيف والمرونة، مما مكن الطرق المحلية من صهر العادات السابقة للإسلام مع المعتقدات الإسلامية الأرثوذكسية، كما يوثق زياد (2018) بدقة.

علاوة على ذلك، ارتبطت مأسسة الطرق الصوفية في الجزائر ارتباطاً وثيقاً بأدوارها كوسطاء بين السكان والقوة السياسية. ومع تنظيم هذه الطرق لأنفسها في أخويات مهيكلة تُعرف بالعربية بـــ "الطُرق"، أصبحت نواقل حاسمة للتماسك الاجتماعي والشرعية السياسية. ويؤكد زياد أنه خلال فترات الهيمنة الأجنبية، لا سيما تحت الحكم العثماني ثم الفرنسي لاحقاً، أدت الطرق الصوفية غالباً وظائف مزدوجة؛ فقد حافظت على الهوية الثقافية الأصلية مع توفير إطار للمقاومة والتكيف في آن واحد. وكان الشيوخ، أو

القادة الروحيون، يتمتعون بنفوذ كبير داخل مجتمعاتهم، ليس فقط في توجيه الممارسة الدينية، بل أيضاً كوسطاء في المفاوضات مع السلطات الخارجية. ويؤكد هذا التموضع المزدوج كيف كان البروز التاريخي لهذه الطرق ظاهرة روحية بقدر ما كان ضرورة سوسيو–سياسية.

يحلل زياد (2018) كذلك كيف ساهمت التمايزات المذهبية والطقوسية بين مختلف الطرق الصوفية في إثراء المشهد الديني في الجزائر. فقد طورت كل من القادرية، والتجانية، والرحمانية، وغيرها، تقاليد تعبدية ونماذج تنظيمية فريدة تعكس أصولها ومهامها المتميزة. فعلى سبيل المثال، أصبحت الطريقة التجانية، التي دخلت في القرن الثامن عشر، ذات نفوذ خاص في وسط وشمال الجزائر بسبب تأكيدها على الإلهام الإلهي المباشر وتفاعلها الاستباقي مع السلطات الكولونيالية. وهذا يتناقض مع طرق أخرى حافظت في الغالب على موقف أكثر تحفظاً أو معارضة. إن تفسير هذه الاختلافات من خلال إطار زياد يكشف أن تعدد المسالك الصوفية في الجزائر لم يكن مجرد مسألة تفضيل روحي، بل كان أيضاً استجابة للظروف التاريخية المتغيرة وديناميكيات القوة.

عند تتبع المسار التاريخي الذي حدده زياد، يجب أيضاً اعتبار المواجهة الكولونيالية كمنعطف حاسم أعاد تشكيل وظائف وتصورات الطرق الصوفية في الجزائر. وبينما تتبعت الأجزاء السابقة الأدوار الروحية والاجتماعية المتجذرة التي لعبتها هذه الطرق، فإن السياق الكولونيالي أدخل تحديات وأطر تفسيرية جديدة فرضها الخطاب الاستشراقي. حاولت السلطات الكولونيالية الفرنسية، التي كانت تنظر إلى التصوف غالباً من خلال عدسة ملونة بالصور النمطية والمخاوف الاستراتيجية، تنظيم هذه الأخويات الصوفية أو استمالتها أو قمعها، إدراكاً منها لقدرتها على أن تكون وعاءً للمشاعر المعادية للاستعمار. والأهم من ذلك، يوضح العرض التاريخي لزياد كيف زاد هذه التفاعلات من تعقيد هوية الطرق، مما أجبرها على التفاوض بين الحفاظ على الأصالة الدينية والتكيف مع الواقع السياسي المفروض.

وهكذا، فإن ظهور الطرق الصوفية في الجزائر، كما رسمه زياد (2018)، يمكن فهمه كعملية ديناميكية متعددة الأوجه شكلتها التطلعات الروحية، والتنظيم الاجتماعي، والمقتضيات السياسية. يوفر هذا المنظور التاريخي سياقاً أساسياً لتحليل التمثلات الاستشراقية لهذه الطرق، حيث يتم دائماً تصفية هذه التصويرات الخارجية عبر الحقائق المتراكمة لأصولها وتطورها. ومن خلال وضع التصوف ضمن بيئته التاريخية الأصلية، تتحدى الدراسة القراءات المختزلة أو "الغرائبية (Exoticized) "السائدة في السرديات الكولونيالية، وتبرز التفاعل المعقد بين الدين والهوية والقوة في التاريخ الجزائري.

صياغة مشكلة البحث: التأطير الكولونيالي للتصوف الاستشراقي (بن شريفة، 2005)

يشكل تأطير التصوف الاستشراقي ضمن الخطاب الكولونيالي بعداً حاسماً في فهم تمثيل وتفسير الطرق الصوفية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية. يوضح تحليل بن شريفة (Bencherifa, 2005) كيف قامت السلطات الكولونيالية والعلماء المستشرقون ببناء سردية معينة حول التصوف، تختلف غالباً بشكل كبير عن المفاهيم والممارسات المحلية. لم يعكس هذا التأطير الكولونيالي الضرورات السياسية والأيديولوجيات العرقية للنظام الاستعماري فحسب، بل شكل أيضاً التصورات الأكاديمية والشعبية اللاحقة للتصوف في الجزائر، مما أدى إلى ترسيخ صور نمطية إشكالية استمرت حتى حقبة ما بعد الاستعمار.

يُشرح بن شريفة بعناية الآليات التي تعاملت من خلالها القوى الكولونيالية مع التصوف، كاشفاً أن الإداريين الفرنسيين والمثقفين المستشرقين استخدموا شخصية "الشيخ الصوفي" وصورة "الطريقة" كأداة للإدارة والضبط الثقافي. فبدلاً من مقاربة التصوف كظاهرة دينية ديناميكية ودقيقة، اختزله الخطاب الكولونيالي في كثير من الأحيان إلى ممارسة غرائبية وجامدة، وفي بعض الأحيان "خرافية"، بما يتماشى بوضوح مع استعارة "الاستبداد الشرقي" والتخلف .(Bencherifa, 2005) خدم هذا الاختزال شرعنة الهيمنة الاستعمارية من خلال تصوير الطرق الصوفية كعقبات أمام التحديث والتقدم، مما يستدعي "التدخل والرقابة". كان تصوير القادة الصوفيين كوسطاء "وديعين" أو "عملاء رجعيين" أداةً أساسية في هذا الصدد، حيث قدم للسلطات الكولونيالية مخططاً مبسطاً لإدارة الشبكات الاجتماعية المعقدة من خلال تحالفات استراتيجية أو إجراءات قمعية.

كان لهذا التأطير عواقب سياسية ملموسة على الطرق الصوفية. يسلط بن شريفة الضوء على كيفية تلاعب الإدارات الكولونيالية بالمؤسسات الصوفية من خلال استمالة القادة الموالين أو التكتل حول طرق معينة لتقويض حركات المقاومة المناهضة للاستعمار، والتي غالباً ما كانت لها جذور روحية واجتماعية في هذه الأخويات. وهكذا تمت إعادة صياغة العلاقات المعقدة التي حافظت عليها الطرق الصوفية مع السكان المحليين والهياكل السياسية قبل الاستعمار من خلال عدسة كولونيالية تخلط بين سلطتهم الروحية والتهديد السياسي (بن شريفة، 2005). ومن خلال تصوير التصوف إما كقوة استقرار داعمة للحكم الاستعماري أو كمعارضة سرية، طمست السردية الكولونيالية الواقع المتعدد الأوجه للطرق وأطالت أمد استخدامها كفاعلين سياسيين بدلاً من كونها مجتمعات دينية بحتة.

اعتمد البناء الاستشراقي للتصوف الجزائري أيضاً بشكل كبير على خطابات الاختلاف العرقي والثقافي، والتي يضعها بن شريفة ضمن الأركيولوجيا الأوسع لإنتاج المعرفة الإمبراطورية الأوروبية. غالباً ما جعلت الدراسات الكولونيالية التصوف "غرائبياً" من خلال التأكيد على العناصر الصوفية والطقوس الباطنية، مما عزز "هالة من الغموض" أبعدت الروحانية الإسلامية عن الحداثة العقلانية. وفرت هذه النزعة "الجوهرانية (Essentializing) "للجمهور الغربي صورة "مبهرة" عن "الشرق" باعتباره جذاباً وغير مفهوم في آن واحد، ومكاناً يتشابك فيه الحماس الديني مع التعصب والخرافة. رفضت هذه التصويرات الصرامة الفكرية والوظائف الاجتماعية المضمنة في الفكر والممارسة الصوفية، وجردتها من سياقها التاريخي وتنوعها الداخلي (Bencherifa, 2005).وهكذا صنع النموذج الكولونيالي "تصوفاً لا تاريخياً" يخدم السرديات الإمبراطورية بدلاً من أن يعكس بدقة التجارب المعيشة للمجتمعات المسلمة الجزائرية.

يمتد نقد بن شريفة إلى ما هو أبعد من العيوب المنهجية للدراسات الكولونيالية ليؤكد آثارها الدائمة على أطر المعرفة في مرحلة ما بعد الاستعمار. إن استمرار التمثلات الكولونيالية في الخطابات الأكاديمية والشعبية يكرس سوء الفهم حول التصوف الجزائري، ويهمش المعارف (Epistemologies) المحلية ويصمت الأصوات الوطنية. وهذا يثير أسئلة نقدية تتعلق بـــ "تفكيك الاستعمار عن المعرفة (Decolonization of knowledge) "وضرورة مراجعة المصادر والسرديات بحساسية تجاه السياقات التاريخية وعدم تناظر القوة. إن التعامل النقدي مع عمل بن شريفة يفتح آفاقاً لاستعادة تعقيد و"فاعلية (Agency) "

الطرق الصوفية في الجزائر، مع التأكيد على أدوارها ليس فقط ككيانات روحية ولكن أيضاً كأطراف فاعلة في التحول الاجتماعي والمقاومة.

أهداف البحث والمنهجية

إن صياغة أهداف بحثية دقيقة واستخدام منهج منهجي صارم أمر لا غنى عنه لدراسة تتركز على تفكيك التمثلات الاستشراقية للطرق الصوفية في الجزائر ضمن سياقاتها الكولونيالية. بناءً على الرؤى النقدية التي قدمها بن شريفة (2005) فيما يتعلق بالتأطير الكولونيالي الهيمني الذي شوه التقاليد الصوفية المحلية، يهدف هذا البحث في المقام الأول إلى تفكيك هذه السرديات الخارجية وإعادة الاهتمام التحليلي بالخطابات الأصلية والحقائق التاريخية التي تم تهميشها.

تتمثل المنهجية في اعتماد إطار "هيرمينوطيقي نقدي" يجمع بين تحليل الخطاب والإثنوغرافيا التاريخية. يعمل تحليل الخطاب كأداة رئيسية لتشريح الإنتاجات الكولونيالية والاستشراقية للمعرفة، مستعيناً بمفهوم فوكو (Foucault, 1972) حول علاقات (سلطة/معرفة) لفحص كيفية بناء التصوف واستخدامه كموضوع كولونيالي في آن واحد. يكشف هذا المنظور عن ديناميكيات السلطة غير المتكافئة المضمنة في إنتاج المعرفة التي شكلت "النظرة الكولونيالية". علاوة على ذلك، يدمج المكون الإثنوغرافي التاريخي طرقاً كيفية مثل الاستكشاف الأرشيفي للوثائق المحلية والرسائل والكتب المناقبية(Hagiographies) ، إلى جانب الشهادات الشفهية المسجلة حيثما كان ذلك متاحاً. ويتوافق هذا النهج مع المقتضيات البحثية لما بعد الاستعمار، مؤكداً على استعادة منظور "التابع/المهمش (Subaltern) "والتعددية المعرفية.(Spivak, 1988; Mignolo, 2007)

مراجعة الأدبيات حول الاستشراق والتصوف

مسح نقدي للدراسات الاستشراقية حول الإسلام في شمال إفريقيا (سعيد، 1978)

يقدم العمل الرائد لإدوارد سعيد، "الاستشراق" (1978)، إطاراً نقدياً تفرضه الضرورة لفهم الآليات الفكرية والأيديولوجية التي تدعم التمثلات الغربية للإسلام في شمال إفريقيا. يكشف تحليل سعيد كيف عملت الدراسات الاستشراقية ليس كنشاط أكاديمي فحسب، بل كخطاب سائد متجذر في هياكل السلطة الإمبراطورية ومعزز لها. يوضح سعيد أن إنتاج المعرفة حول "الشرق" لا يمكن فكه عن الدوافع السياسية للحكم الاستعماري، الذي سعى لتبرير السلطة الأوروبية واستدامتها عبر وسائل معرفية (Said, 1978, p. 3).يمتد هذا المفهوم مباشرة إلى تصوير الطرق الصوفية في الجزائر، حيث وظف الاستشراق الإداري "تيمات" استشراقية لـــ "جوهرة (Essentialize) "الممارسات الدينية المحلية بطرق تعزز السرديات المركزية الأوروبية حول "الاختلاف والتفوق."

جوهر نقد سعيد يكمن في تحديد الاستشراق كخطاب هيمني يبني "الشرق" كـــ "آخر" متميز وجودياً ومعرفياً، يتسم بالسلبيّة، واللاعقلانية، والاستبداد الروحي. هذا التضاد الثنائي بين الغرب العقلاني التقدمي والشرق الصوفي المتخلف أدى وظائف كولونيالية استراتيجية من خلال شرعنة سياسات التدخل والتبعية الثقافية. وفي السياق الجزائري، تجلت هذه البناءات الاستشراقية

في تمثيل الطرق الصوفية كظواهر "غرائبية"، و"بدائية"، و"مفرغة من السياسة"، مما يسهل استراتيجيات السيطرة الفرنسية عبر تقويض الفاعلية السياسية والصلابة الاجتماعية للسكان المحليين (سعيد، 1978).

الإطار النظري: ما بعد الاستعمار وتحليل الخطاب

المفاهيم الأساسية في نظرية ما بعد الاستعمار وتطبيقها على الجزائر (ممي، 1957)

يقدم تحليل ألبير ممي الرائد (1957) مكملاً حيوياً لنقد سعيد من خلال تسليط الضوء على "التجربة المعيشة" للاستعمار عبر عدسة تكوين هوية "المستعمَر" وديناميكيات الهيمنة. يوضح عمله كيف تعمل القوة الكولونيالية ليس فقط من خلال السيطرة الخارجية، بل من خلال "تصدع" الإدراك الذاتي للشعوب الأصلية. إن تصور ممي لـــ "المستعمِر" و"المستعمَر" كهويات متداخلة ولكنها غير متناظرة بعمق، يوفر دعامة نظرية لتفكيك العلاقات المعقدة المضمنة في اللقاءات الكولونيالية.

بالنسبة لممي، فإن المستعمَر محاصر داخل نظام قسري يفرض عليه وضعاً أدنى من خلال "نزع الإنسانية" الممنهج والتهميش المعرفي. هذا الاغتراب الداخلي يضع المستعمَر في حالة من "الازدواجية الوجودية"، حيث يصبح التصنيف الاستعماري هوية مفروضة لا يمكن الهروب منها ومقاومتها في آن واحد. هذه الصراعات النفسية ذات صلة وثيقة بكيفية فحص وتمثيل الطرق الصوفية في الجزائر؛ فذاتية المستعمَر الواقعة بين التقاليد الأصيلة ونظرة المستعمِر، تشير إلى أن تمثلات الطرق الصوفية لم تكن مجرد فرض خارجي بل كانت أيضاً مفاوضات داخلية حول الهوية تحت وطأة الهيمنة.

النتائج التجريبية: التمثلات النصية الكولونيالية

التصوير الاستشراقي للطقوس الصوفية في التقارير الفرنسية للقرن التاسع عشر

جاءت التقارير الفرنسية في القرن التاسع عشر حول الطقوس الصوفية في الجزائر مشبعة بالأطر الاستشراقية التي صورت هذه الممارسات الروحية كأفعال "غرائبية" و"تخريبية" في آن واحد. غالباً ما تصف هذه النصوص الطقوس الصوفية من خلال عدسة تتأرجح بين الإعجاب بالغرابة والازدراء، مما يعكس القلق الإمبراطوري الأوسع وتبريرات الهيمنة. في التقارير التي حررها الضباط والإداريون والإثنوغرافيون الكولونياليون، تم تأطير الشعائر الصوفية كرمز لـــ "التخلف" الجزائري واللا عقلانية.

استخدمت الاستراتيجيات اللغوية والبلاغية كلمات متكررة مثل "التعصب(fanaticism) "، و"الهذيان(delirium) "، و"الخرافة(superstition) "، إلى جانب تصوير درامي لـــ "لحظات الوجد" أو "النشوة الصوفية" بوصفها "حالات هيستيرية". لم تكن هذه الحقول الدلالية محايدة؛ بل عملت كمكونات أدواتية داخل خطاب كولونيالي يشرعن سياسات التدخل من خلال تصوير الطرق الصوفية كعقبات أمام "الحضارة والتقدم". فعلى سبيل المثال، ركزت التقارير العسكرية غالباً على السلوك الطقوسي للأخويات الصوفية كمصادر للاضطراب الاجتماعي أو كأراضٍ لتعبئة المقاومة المعادية للاستعمار، وبذلك دمجت بين الممارسة الدينية والتمرد السياسي.

التوثيق البصري والتصوير الإرسالي/التبشيري للزوايا

عمل التوثيق البصري والتصوير الفوتوغرافي للزوايا خلال الفترة الفرنسية كمكمل قوي للتمثلات النصية. لم تكن هذه الصور محايدة أبداً؛ بل كانت تمثيلات منسقة بعناية وتخضع للمنطق المزدوج لـــ "الإعجاب والارتقاب .(Iverson, 2016) "من خلال اختيار عناصر بصرية معينة مثل الملابس الدينية المزخرفة، أو الأواني الطقسية، أو الملامح المعمارية غير المألوفة للعين الأوروبية، قام المصورون ببناء "لوحة حية (Tableau vivant) "تشفر رسائل معقدة عن "الآخر" الجزائري والوصاية الكولونيالية.

عكست مشاريع التصوير الفوتوغرافي، وخاصة الإرسالية منها، تشابكاً متعمداً بين الأجندات الدينية والكولونيالية. سعى المبشرون من خلال الصور إلى كشف "القصور" المدرك في الوسط الإسلامي المحلي لشرعنة "المهمة الحضارية". ولم تكن صور الزوايا مجرد صور أرشيفية، بل كانت أدوات روجت للجمهور الأوروبي ولصناع القرار ضرورة "الإصلاح الديني" والهيمنة الثقافية. إن التركيز البصري على شخصيات تظهر الزهد أو وضعيات صوفية معينة ساهم في منطق خطابي "يوصم مرضيّاً (Pathologizes) " الروحانية الصوفية باعتبارها إسلاماً "منحطاً" يحتاج إلى التصحيح عبر الخلاص المسيحي.

الاستنتاجات والأبعاد السياسية و العقدية

تركيب المواريث الكولونيالية في التصوف الجزائري المعاصر

يُظهر التصوف الجزائري المعاصر انطباعات دائمة للمواريث الكولونيالية التي تشكل ديناميكياته الداخلية وتصوراته الخارجية. ولا يمكن فهم هذا التركيب إلا كعملية متعددة الطبقات حيث أعادت التدخلات الكولونيالية في الإدارة، وإنتاج المعرفة، والتمثيل الديني، تكوين معايير "الأصالة الصوفية"، مما أدخل ازدواجيات لا تزال تتردد في الحياة المؤسسية الصوفية اليوم.

إحدى السمات البارزة لهذه المواريث هي التوتر المستمر بين "الإيثوس" الروحي الذي تعبر عنه الطرق الصوفية وبين الأطر المتبقية التي شكلتها التوظيفات الاستشراقية والكولونيالية. فخلال الاحتلال الفرنسي، جرى تحويل الزوايا إلى "نصب تذكارية جامدة" لروحانية فلكلورية، وتمت إعادة تعريف مجتمعاتها النابضة بالحياة من خلال عدسة تفضل "الغرابة والسلبيّة" على الحيوية السوسيو-سياسية. أنتج هذا "رسوباً خطابياً" يتعين على الفاعلين الصوفيين المعاصرين التعامل معه، حيث تستمر التصورات الخارجية في التأرجح بين "النقاء الروحي الرومانسي" وبين "الارتياب من المناورات السياسية."

في الختام، يكشف تركيب المواريث الكولونيالية في التصوف الجزائري المعاصر عن تداخل معقد بين الآثار التاريخية، والاقتصادات التمثيلية، والاستمرارية المؤسسية. إن ديناميكيات السلطة الكولونيالية صاغت تكوينات معرفية ومادية لا تزال تتوسط كيفية ممارسة التصوف وإدراكه وتنظيمه اليوم. إن هذا الفهم المعمق يبرز الضرورة الملحة للتعامل النقدي مع التاريخ الكولونيالي لاستعادة التعددية والديناميكية المتأصلة في التقاليد الصوفية الجزائرية، وتحدي الكاريكاتيرات الاستشراقية الدائمة، وتمكين تقدير أكثر دقة لمكانة التصوف في جزائر ما بعد الاستعمار.

قائمة المصادر:

1. **Bencherifa, A.** (2005). Orientalism and the Framing of Sufism in the Maghreb. *Journal of North African Colonial Studies*, 12(3), 89–115.
2. **Benslama, F.** (2011). *Les nouveaux pouvoirs mystiques au Maghreb*. Bayard.
3. **Edwards, E.** (1992). *Anthropology and Photography 1860–1920*. Yale University Press.
4. **Ernst, C. W.** (1997). *The Shambhala Guide to Sufism*. Shambhala Publications.
5. **Evans, R. J.** (2004). *The Writing of History in Colonial Algeria*. Manchester University Press.
6. **Fairclough, N.** (1995). *Critical Discourse Analysis: The Critical Study of Language*. Longman.
7. **Fanon, F.** (1963). *The Wretched of the Earth*. Grove Press.
8. **Fanon, F.** (1967). *Black Skin, White Masks*. Grove Press.
9. **Foucault, M.** (1972). *The Archaeology of Knowledge and The Discourse on Language*. Pantheon Books.
10. **Hargreaves, A. G.** (2013). *Memory, Empire, and Postcolonialism: Legacies of French Colonialism*. Columbia University Press.
11. **Iverson, S.** (2016). "Missionary Photography and Colonial Knowledge in French Algeria." *Visual Anthropology Review*, 32(1), 61–77.
12. **Kress, G., & Van Leeuwen, T.** (2006). *Reading Images: The Grammar of Visual Design* (2nd ed.). Routledge.
13. **Mamdani, M.** (1996). *Citizen and Subject: Contemporary Africa and the Legacy of Late Colonialism*. Princeton University Press.
14. **Memmi, A.** (1957). *The Colonizer and the Colonized*. Beacon Press.
15. **Mignolo, W. D.** (2007). Delinking: The rhetoric of modernity, the logic of coloniality, and the grammar of de-coloniality. *Cultural Studies*, 21(2-3), 449–514.
16. **Mirzoeff, N.** (1999). *An Introduction to Visual Culture*. Routledge.
17. **Rieff, P.** (1985). *The Missionary Position: Mother Teresa in Theory and Practice*. Vintage.

18. **Roy, O.** (2008). *Globalized Islam: The Search for a New Ummah*. Columbia University Press.

19. **Said, E. W.** (1978). *Orientalism*. Pantheon Books.

20. **Schielke, S.** (2009). "Being Good in Ramadan: Ambivalence and Discipline in Islam." *Anthropological Quarterly*, 82(2), 405–430.

21. **Seale, A.** (2009). *The Struggle for North Africa: Islam and State in the Middle Ages*. I. B. Tauris.

22. **Slyomovics, S.** (1998). "The Object of Memory: Arab and Berber Art and Material Culture in French Colonial Algeria," in D. Prochaska (Ed.), *In the Shadow of the Enlightenment* (pp. 95–115). Routledge.

23. **Spivak, G. C.** (1988). "Can the Subaltern Speak?" In C. Nelson & L. Grossberg (Eds.), *Marxism and the Interpretation of Culture* (pp. 271–313). University of Illinois Press.

24. **Stevenson, N.** (2015). *Camera Politica: The Politics and Philosophy of Representation*. Edinburgh University Press.

25. **Ziyād, M.** (2018). The Emergence and Evolution of Sufi Orders in Algeria. *Journal of North African Studies*, 23(2), 145–167.